

# الرؤية الاستراتيجية لإدارة الصراع العربي الصهيوني

قراءة في فكر خالد الحسن

ياسين طلعاوي

yassinetaoui@gmail.com

(طالب باحث. كلية سلا . جامعة محمد الخامس السويسي)

## مدخل:

إن ما عرفته منطقتنا العربية من تدخلات واحتلالات من قبل القوى الدولية قديماً وحديثاً، يجعل لزاماً على كل دارس مهتم بشؤون هذه المنطقة، أن يدرك أهميتها الجيوسياسية والاستراتيجية في خريطة العالم، وإنه من البديهي أن يقف الباحث عند أسباب كل التدخلات الخارجية ودوافعها، بما فيها الاحتلال الصهيوني الذي يمثل ذروة هذه التدخلات بل يعتبره الكثيرون سرطاناً مزروعاً في قلب المنطقة العربية من أجل ضرب تماسك ووحدة المجتمع العربي المستقر لقرون مديدة على تلك الأرض. وكذا الحفاظ على مقاصد ومرامي سايكس بيكو. لكل هذا نعتبر أنفسنا معنيين بدراسة هذا الاحتلال ودراسة أبعاد الصراع الناتجة عنه، لمواكبة تطورات وغاياته ومعرفة كافة الأطراف المتدخلة فيه ومتابعة طرق اشتغالها في هذا الملف، وأساليب تحريك الخيوط فيه.

في هذه المقالة سنحاول دراسة هذه المواضيع انطلاقاً من التراث الفكري لأحد قادة النضال الفلسطيني الذين حاولوا من خلال الفكر والممارسة السياسية مجاهدة المشروع الصهيوني المدعوم من طرف القوى الرأسمالية الغربية. فالراحل خالد الحسن عاصر وعاش فظاعات المشروع الصهيوني في المنطقة العربية عامة وفي فلسطين خاصة. وانخرط منذ وقت مبكر في تنظيمات المقاومة العربية والفلسطينية. كما حاول من خلال إسهاماته الفكرية أن يقدم تصوره ورؤيته لهذا الصراع وطرق مجاهدته عربياً ودولياً. وسنقسم هذه المقالة إلى ثلاثة محاور هي على الشكل التالي:

**المحور الأول: فهم الراحل خالد الحسن لطبيعة الصراع العربي الصهيوني.**

**المحور الثاني: دور القوى الدولية في الصراع العربي الصهيوني**

**المحور الثالث: استراتيجية التكامل العربي في مواجهة الصهيونية وحلفائها.**

سنعتمد في هذه المقالة بشكل كبير على كتب ومقالات الراحل خالد الحسن. عبر استنطاقها وفق التصميم المعلن في هذه المقدمة. والهدف هو الوقوف على جزء من الرؤية الفكرية والسياسية لرجل جعل من مجاهدة المشروع الصهيوني اهتمامه الأساس.

**أولاً : فهم الراحل خالد الحسن لطبيعة الصراع مع العدو الصهيوني**

إن الفهم الصحيح لطبيعة الصراع العربي الصهيوني هو خطوة متقدمة لخوض هذا الصراع على بصيرة من الأمر، وأي غبش في تحديد ذلك سيؤدي لا محالة إلى التخلف عن المخطات الأساس لهذا التحدي. وإن رجلاً مثل الراحل خالد الحسن، بما له من مكانة بين القيادات العربية في التنظير والنضال من أجل التخلص من الاحتلال الصهيوني الغربي لأجزاء من الوطن العربي. لخلق بأن تكون له رؤية واضحة حول هذا الأمر. فلقد كان رحمه الله واعياً بالأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط التي يقع الوطن العربي وفلسطين في قلبها .

حيث أدرك أن فلسطين تمثل جغرافياً أفضل موقع إستراتيجي بين القارات الثلاث<sup>1</sup>، وهو الأمر الذي رفع حدة التنافس عليها قبل وبعد اتفاق "سايكس بيكو"، حيث أصدرت بريطانيا وعد بلفور بتنسيق مع الأمريكيين متبينة بذلك الأطروحة الصهيونية بزرع كيان إحلالي في أرض فلسطين. لكن أمريكا عارضت الانتداب البريطاني على فلسطين رغم تضمنه إقامة دولة إسرائيل، ولم توافق إلا بعد سنتين. حيث تمكنت من الحصول على امتيازات اقتصادية مساوية لما حصلت عليه كل من فرنسا وبريطانيا في الشرق الأوسط<sup>2</sup> ومن هذا الأمر حصتها من النفط العربي.

وبعد قيام دولة إسرائيل استلمت أمريكا المقود من بريطانيا، مستثمرة خروجها القوي من الحرب العالمية الثانية، وتموقعها كأقوى دولة أفرزها النظام العالمي الجديد. إذ يعتبر أبو السعيد "أن حاجة القوى الكبرى للقواعد العسكرية جعل أمريكا تتحالف مع الكيان الجديد، من منظور يعي جيداً أهمية الموقع الاستراتيجي لفلسطين، وأهمية الحضور العسكري فيه، وقد اعتبر هذا التحالف بمثابة بناء قاعدة عسكرية أمريكية يكلف أقل من بناء قاعدة خاصة<sup>3</sup>. وهو ما أدركته إسرائيل جيداً في تعاطيها مع الولايات المتحدة الأمريكية، و أنتج بؤرة الضغط والتأثير — اللوبي الصهيوني — المتنفة سياسياً وإقتصادياً في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن أبا السعيد يرى أن تأثير هذا اللوبي هو تأثير في حدود الزيادة أو التعديل في صنع القرار الأمريكي، ولا يصل إلى درجة نسف القرارات الأمريكية أو صياغتها. بدليل موقفها الرافض للعدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وكذا صفقة الطائرات الحربية، وطائرات "الأواكس" مع المملكة العربية السعودية. وهو من وجهة نظره أمر تعيه إسرائيل بشكل جيد فتعمل على تجاوزه من خلال أجهزة الإعلام القوية عن طريق تشكيل رأي عام أمريكي ضاغط ومساند -في غياب إعلام عربي منافس- يصل إلى حد تبني إسرائيل وكأنها جزء من أمريكا، بخلق مناخ مناسب يبرر سياسة واشنطن المؤيدة لإسرائيل والمعادية للعرب. ويجعل العرب يصدقون بأن كل ذلك هو من ضغط اللوبي الصهيوني<sup>4</sup>.

باستحضار ما سبق فإن أبا السعيد كان يرى أن الصراع مع العدو الإسرائيلي هو صراع مع السياسات الدولية والغربية التي زرعت هذا الكيان في أرض فلسطين والتي كان في مقدمتها كل من بريطانيا وفرنسا قبل أن تحل

1. خالد الحسن أبو السعيد، إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي، أوراق سياسية 6، ط1، عمان 1986، ص 14.

2. خالد الحسن أبو السعيد ، نفس المرجع، ص 14.

3. خالد الحسن أبو السعيد، نفس المرجع، ص 15.

4. خالد الحسن أبو السعيد ، نفس المرجع، ص 15.

أمريكا مكافئاً<sup>5</sup>، إلا أنه يرى أن المصالح الاحتكارية لهذه الأخيرة في الشرق الأوسط تدفعها أحياناً لاتخاذ مواقف ضد حلفائها كما كان عند معارضتها للعدوان الثلاثي على مصر. لأن نجاحه كان يعني نقل العلاقة الأساس مع إسرائيل مرة أخرى إلى بريطانيا وفرنسا، ويمكنهما من السيطرة على قناة السويس و يفقد أمريكا للمبادرة الاقتصادية والسياسية في ملفات الشرق الأوسط<sup>6</sup>

هذا عن الطرف الأول من الصراع، أما الطرف الثاني بالنسبة لأبي السعيد فهو الأمة العربية التي اقتطعت أرض فلسطين من أراضيها، تلحم الأمة العربية ذات الشعب الواحد، والذي يمثل شعب فلسطين جزءاً منه وأرضه جزء من تلك الأرض. فالقضية بالنسبة إليه قضية قومية وكل العرب شركاء في تحمل أعبائها والكيان الصهيوني يمثل خطراً على مصالح الأمة العادية والعليا<sup>7</sup>.

ومن هنا يمكننا القول بأن أبا السعيد كان واعياً بأهمية إسرائيل في شبكة المصالح الإستراتيجية الأمريكية. لهذا قام بقراءة التحالف الاستراتيجي بينهما على هذا الأساس. فلم ير في معارضة أمريكا للعدوان الثلاثي على مصر وقوفاً إلى جانب العرب مثلما تراءى للبعض. وإنما نظر إليه باعتباره خطوة جديدة في تدعيم هذا التحالف. لأن أمريكا بذلك أرادت أن تضمن تفرداً بالمنطقة وقيادتها للمنظومة الغربية. ورغم ذلك فإن بقاء إسرائيل بالنسبة للرجل رهين بالدعم الغربي والأمريكي لها على وجه التحديد. وأنها بتعبيره أضحت أداة في يد الولايات المتحدة الأمريكية.

فإذا كان هذا الأمر صحيحاً فإنه يتوجب على الباحثين الإجابة على السؤال التالي: لماذا يقدم هذا الكيان على خطوات ومبادرات بعيداً عن الرغبة الأمريكية كما حصل في العدوان الثلاثي؟ هل يمكن الحديث عن وجود حيز من الاستقلالية في هذه العلاقة؟ وبالتالي فإن الحديث عن استعمال أو استخدام إسرائيل من طرف أي كان مسألة فيها نظر. لكن كيف طرح الراحل خالد الحسن هذه المسألة؟

من خلال تصفح تراث أبي السعيد يتضح لنا بأنه نظر إلى الكيان الغاصب كدولة تؤدي وظائف حيوية واستراتيجية للقوى الاستعمارية الغربية وعلى رأسها أمريكا. لكن هل كان يعتبر إسرائيل بالمطلق مجرد كيان أو مجموعة وظيفية؟ أم أن إسرائيل هي جزء من هذا الغرب الاستعماري الذي يحافظ على مصالحه الحيوية والإستراتيجية في المنطقة؟ وبالتالي فإن وجود إسرائيل هو وجود لهذا الغرب على أرض عربية.

إن التمعن الفاحص لكتابات وحوارات الراحل، يبين بأنه كان على وعي بأن الصراع مع إسرائيل هو صراع مع القوى الدولية التي أوجدتها. وهذا يتضح أيضاً من كل الحروب التي خاضها العرب ضد إسرائيل إذ سرعان ما يدركون أنهم لا يحاربون إسرائيل بل يواجهون مرة أخرى مجموعة من الدول الغربية. لكن هل اعتبر أبو السعيد حقاً إسرائيل جزءاً من القوى الاستعمارية الغربية بالمعنى العضوي للجزء؟ وبالتالي فإن الصراع هو صراع

5. خالد الحسن أبو السعيد ، *مقابلة مع شؤون فلسطين دون ذكر العدد أعيد نشرها في كتاب فلسطين وأوروبا ديبلوماسية المواجهة*، دار الكلمة للنشر 1981 ص 134.

6 - خالد الحسن أبو السعيد، *إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية*، مرجع سابق ص 18 و19.

7 - خالد الحسن ، أبو السعيد، *الإنتفاخ الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك*، أوراق سياسية 13، بدون ذكر للطبعة أو الناشر، ص46.

مع الغرب الاستعماري الذي تمثل إسرائيل مقدمته فقط، والدول والقوى الأخرى ميمنته و ميسرته ومؤخرته، إذا جاز لنا استعارة هذا التقسيم العسكري.

هذا النقاش حول علاقة إسرائيل بالقوى الاستعمارية يجرنا لمناقشة مفهوم الدولة الوظيفية كما طرحه الراحل عبد الوهاب المسيري الذي يرى بأن الجماعات الوظيفية اليهودية قد استنفذت أغراضها في السياق الغربي. ولم يعد لها دور تقوم به (وهو ما أدى في نظره لظهور المسألة اليهودية والصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة باعتبارها حلاً لها) فكان من الضروري التخلص منها خارجاً. وكان ذلك عبر خلق دولة في أرض فلسطين، تضم شتات اليهود في المجتمعات الغربية. وهذه الدولة ستتحرّك بنفس منطق الجماعة الوظيفية لصالح القوى الاستعمارية الغربية، أوكل إليها مهمتا القتال والاستيطان<sup>8</sup>. لكن المسيري رحمه الله عند محاولة الإجابة عن سؤال: لماذا لجأ الغرب إلى آلية الدولة الوظيفية لتحقيق أهدافه، بدلاً من الآلية الأكثر شيوعاً، أي الجماعة الوظيفية؟ ولم لم يوطن اليهود في فلسطين كجماعة وظيفية قتالية تعمل تحت إشرافه ولصالحه؟ لم يقدم في نظرنا شيئاً صلباً ومقنعاً، بقدر ما قدم تبريرات للقول بهذا الانتقال. فقد رأى بأن طبيعة المجتمعات الحديثة وقد تغلّغت فيها المثل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، تجعل من العسير بل من المستحيل الاحتفاظ بطبقة منعزلة حضارياً، ومتميزة وظيفياً وطبقياً، أما إذا شكلت هذه الطبقة دولة قومية مستقلة، فيمكنها بسهولة أن تحتفظ بعزلتها وتميزها<sup>9</sup>. إن السؤال الذي يطرح هنا هل فكرت القوى الاستعمارية في الخيار الأول بتوظيف اليهود كمقاتلين بالنيابة عنها ثم عدلت عنه لتتبني الخيار الثاني؟ وهل السير في الطريق الثاني، مرده إلى الاستحالة الموضوعية؟ أم هو راجع إلى تخوف الغرب على صورته كما ذهب إلى ذلك المسيري؟ للجواب عن هذا السؤال لا يحتاج المرء إلى قلب النظر بقدر حاجته إلى وثائق وشهادات، من قادة الجبهة الاستعمارية الغربية التي كانت وراء زرع الكيان الإسرائيلي في قلب الوطن العربي. وهذه الأشياء غير متضمنة في محاولة د المسيري للتدليل على تطور الجماعة الوظيفية إلى دولة وظيفية.

إن السؤال الذي سبق يفتح المجال أمامنا لطرح مجموعة من الأسئلة حول مفهومي الجماعة الوظيفية والدولة الوظيفية كما طرحت عند المسيري وهذا نموذج من هذه الأسئلة:

هل المنطق الذي تشكلت وفقه الجماعات الوظيفية اليهودية داخل المجتمعات الغربية، هو نفس منطق تشكل الدولة الوظيفية كما يطرحها المسيري؟ كيف تم انتقال هذه الجماعات إلى دولة وظيفية؟ هل تم ذلك بشكل تلقائي أم عن طريق التنسيق بين هذه الجماعات والدول الغربية؟ ثم كيف أمكن تجميع جماعات كثيرة تنتمي لمجتمعات مختلفة داخل دولة وظيفية واحدة، رغم تعدد وظائف هذه الجماعات في الأصل (مالية/حرفية/قتالية....). وكيف تم اختصار كل هذه الوظائف في وظيفتي القتال والاستيطان كما يذهب إلى ذلك المسيري؟

هذا فيما يتعلق بمفهوم الدولة الوظيفية فماذا عن الجماعة الوظيفية نفسها؟ كيف تتشكل؟ هل بإرادة أفراد الجماعة فقط أم بالتواطؤ مع المجتمع؟ ثم ما هي حدود تدخل الدولة في تشكل هذه الجماعات الوظيفية؟ وبعد التشكل كيف تؤدي هذه الجماعات وظائفها؟ وكيف تحافظ على ولائها وكيف تغيرها؟

8. عبد الوهاب المسيري، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموحدة في جزأين*، دار الشروق ط الثالثة 2006 المجلد الثاني ص 375.

9. عبد الوهاب المسيري، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، نفس المرجع، ص 375.

كل هذه الأسئلة تحتاج إلى أجوبة، لكن هذه الورقة غير معنية بذلك، بقدر ماهي معنية بتسليط الضوء على رؤية أبي السعيد، لطبيعة التناقض مع إسرائيل. وإن طرح وظيفية إسرائيل من عدمها غاية فهم طبيعة علاقتها مع الدول الغربية الداعمة لها حتى الآن .

بالعودة إلى أبي السعيد لا نستطيع أن نجزم بأنه يذهب في القول بأن إسرائيل تشكل طرفا مستقلا في الصراع العربي الإسرائيلي، لكننا قد نستشف ذلك من قراءته للحلف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل. حيث نجده يعتبر سياسة الأحلاف جزء من استراتيجية وجود هذا الكيان. فقد سبق لأصحاب هذا المشروع وزعمائه أن اعتمدوا على روسيا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا في وقت سابق. كما أن قراءة أبي السعيد لقرار مشاركة إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر، دون الرجوع لصانع القرار الأمريكي، يوحي بأنه يقر بامتلاك إسرائيل لقدرة معينة على الحركة بعيدا عن أقرب حلفائها. وأن معارضة الأمريكيين لهذه الخطوة دليل أيضاً على اختلاف التقدير بين الدولتين أحيانا. وأن قدرة العدو الإسرائيلي على تحريك إعلامه المكثف من أجل تكوين رأي عام يدفع في اتجاه اتخاذ قرارات أمريكية تصب في مصلحته، دليل ليس فقط على القدرة على الحركة فقط، بل دليل على القدرة على الحركة داخل أمريكا نفسها<sup>10</sup>.

وهذا ما قد يجعلنا نطرح السؤال التالي ألا يعزز تحريك إسرائيل لأوراقها داخل أمريكا وأحيانا داخل دول أخرى القول بأن إسرائيل حتما ليست دولة وظيفية؟ لكن هل اعتبار أبي السعيد إسرائيل أداة في يد الولايات المتحدة الأمريكية، يجعلنا أمام طرح يقر بوظيفية مع تأثير متبادل بين إسرائيل وحلفائها؟ أم هي أداة بقياس فارق القوة، كما يقال حينما يتم الحديث عن إحدى الدول الضعيفة، التي تدور في فلك دولة قوية.

## ثانيا: دور القوى الدولية في الصراع العربي الصهيوني

إن الخوض في دراسة دور القوى الدولية في الصراع العربي الصهيوني، هو استكمال لما بدأناه في الجزء الأول من هذا المقال. وإننا من خلال هذا الفصل بين الجزء الأول والثاني، لا نروم الفصل بين دراسة طبيعة هذا الصراع وبين دور القوى الدولية فيه. بالقدر الذي نحاول أن نبين وجهة نظر أبي السعيد في هذا الأمر خصوصا في مرحلة الثنائية القطبية وبداية تشكل الأحادية القطبية. إذ يعتبر أبو السعيد أن الخطر والقهر الذي مورس على العالم العربي، كان نتيجة سياسة أمريكا ودول العالم الرأسمالي التي كان لها وجود مادي في المنطقة ولم يكن قادما من الاتحاد السوفيتي، الذي كان يحاول أن يتواجد في المنطقة بمبررات الصداقة لا السيطرة.<sup>11</sup> ويأتي في مقدمة هذا القهر وهذا الظلم التمكين للمشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين عن طريق الدعم الكبير الذي لقيه من القوى الاستعمارية الغربية من أجل بسط السيطرة على المنطقة. لكن أبا السعيد يعي جيدا أن الوفاق الذي حصل بين هذه القوى، في دعم المشروع الصهيوني، لا ينفي وجود التنافس بينها على المنطقة العربية. حيث يسعى كل طرف لتوظيف أدواته وعوامل قوته في هذا الملف، لكن جل هذه الأطراف خرجت منهكة من الحرب العالمية الثانية، ما دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى الانفراد بمنطقة الشرق الأوسط عبر مصادرة مشروع دولة إسرائيل لصالحها. لتجعل منها قوة عسكرية ضخمة وقاعدة اقتصادية وسياسية وصناعية تسهر على رعاية مصالحها بالوكالة في الشرق الأوسط أولا، و

10. خالد الحسن، إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، مرجع سابق ص 15.

11. خالد الحسن، عبقرية الفشل، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر، ط الأولى 1986، ص 71.

في العالم الثالث بشكل عام. مستحضرة الأهمية التي يكتسبها النفط العربي في خريطة المصالح الأمريكية. منطلقة في ذلك من الخلفية الإمبريالية التي تحكم رؤيتها الاقتصادية، حيث عمدت إلى استثمار فائض رأسمالها بعد الحرب العالمية الثانية، في إعادة بناء الصناعة الأوربية واليابانية، لتتمكن من مشاركتها في الرأسمال الصناعي، ثم تقوم فيما بعد باحتلال مواقعهما التسويقية في العالم الثالث، في انسجام مع الفلسفة الرأسمالية المقترنة بالتفوق العسكري والمادي<sup>12</sup>. كما أن أبا السعيد يرى بأن الذي منع التناقض بين الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وأوروبا واليابان من جهة ثانية، هو وجود الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية. وقد كان هذا الأمر بالنسبة له كان عاملاً حاسماً في التخفيف من حدة العدوان الأمريكي تجاه العالم الثالث<sup>13</sup>.

أما بخصوص قراءته للتعاطي الغربي مع العرب فيورد الرجل مؤشرات واضحة من أهمها على الإطلاق إقفال أمريكا ومعها أوروبا الغربية مخازن أسلحتها عن العرب إلا من قبل بشروطها الاقتصادية والسياسية. بل إنها قايضت ذلك بالموقف من الكيان الصهيوني<sup>14</sup>. إضافة إلى إبرام التحالف الاستراتيجي بين أمريكا والكيان الصهيوني والذي وضع كأهداف له: تثبيت وجود وأمن الكيان وتعزيز قدراته العسكرية. بما يجعله قادراً على مواجهة أي هجوم عربي ومن كافة الجبهات. وبما يمكنه أيضاً من تنفيذ ضربات استباقية ضد كل ما يتعارض مع السياسة الأمريكية والصهيونية في المنطقة، والمثال التطبيقي لهذا التوجه كان قصف المفاعل النووي العراقي. أما الهدف من هذا التوجه بالنسبة لأبي السعيد فكان إجبار العرب على ممارسة السلام دون الاعتراف بالشعب الفلسطيني وبحقوقه. في ظل سعي أمريكي لاحتكار أي حل سياسي قادم، مع مواصلة التعطيل الدائم عبر حق النقض الفيتو لأي قرار في مجلس الأمن لا يوافق عليه الكيان الصهيوني<sup>15</sup>.

أما فيما يتعلق بلحظات التوتر بين إسرائيل والعرب، فنخلص المرحوم خالد الحسن أن السلوك الأمريكي فيها ينطلق من مدرستين لتحقيق هدف استمرار النفوذ الأمريكي الاحتكاري في المنطقة:

المدرسة الأولى: تقضي بأن لا تتدخل واشنطن لمنع أي حرب أو احتلال لأراض عربية. على أن تتدخل بعد ذلك لتحقيق الانسحاب أو إيقاف الحرب، والهدف هو إفهام العرب بأن أمريكا وحدها هي التي تنقذ العرب من الاحتلال الإسرائيلي وبالتالي تزداد أمريكا نفوذاً في المنطقة.

المدرسة الثانية: تقول بعكس الأولى فهي ترى أن نفوذ واشنطن يتحقق بشكل أفضل إذا تدخلت لمنع وقوع الحرب أو الاحتلال<sup>16</sup>.

فإذا كانت هذه هي قراءة أبي السعيد للدور الأمريكي وحليفه الأوربي فكيف كانت رؤيته للدور السوفيتي؟ يمكن القول بأنه راهن على السوفييت كثيراً، ودعا الدول العربية لاستثمار التوازن الدولي، بين القوتين العظميتين في العالم أثناء الحرب الباردة. لتقليص الفارق الناجم عن التحالف الأمريكي الصهيوني. رغم أن مصالح السوفييت في

12. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 37-39.

13. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 42.

14. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 74.

15. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 85-86.

16. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 86.

المنطقة لم تكن بحجم المصالح الأمريكية، لكن ما جعل أبا السعيد ينظر بهذا الشكل الإيجابي للاتحاد السوفيتي، هو تداخل مصالحه مع دول العالم الثالث، في مواجهة السيطرة الاحتكارية لدول الرأسمالية الصناعية. وكونه لم يشكل إذاك خطراً على المصالح القومية للأمة العربية، سواء تعاملت معه اقتصادياً أم لا. بالإضافة أن تجربته في العالم الثالث قامت على دعم الصناعات العادية والمتقدمة تكنولوجيا عكس أمريكا والدول الرأسمالية التي لم ترفيه سوى خزان للمواد الخام والطاقة ومركزاً لتسويق الفائض<sup>17</sup>. كما أن السياسة الإقراضية السوفيتية كانت في نظره تهدف إلى تنمية الدول المقترضة بدليل انخفاض فوائدها قياساً بغيرها، ولآجال طويلة لا تعرقل المشاريع المقامة ولا اقتصاديات تلك الدول. خلافاً لأمريكا التي تقدم قروضا بفوائد مرتفعة، مع اشتراط السداد بالدولار واشتراط أن تتكون الشركات الأمريكية وراء تنفيذ المشاريع التي خصصت لها تلك القروض<sup>18</sup>.

هذا التوجه السوفيتي نظر إليه المرحوم خالد الحسن من زاوية التنافس والصراع بين المعسكرين. حيث عمل الاتحاد السوفيتي على زيادة الإنتاج الوطني لدول العالم الثالث من هذا المنطلق خاصة في الميدان الصناعي لتخفيف استيرادها من منتجات العالم الرأسمالي. لكن هذا التوجه السوفيتي وإن جاء في سياق مناكفة الغرب، كان يصب في مصلحة الشعوب المتطلعة للإفلات من نفوذ وهيمنة القوى الرأسمالية، التي شكل هذا المسار ضرباً لمصالحها<sup>19</sup>.

أما من ناحية التسليح فقد لعب السلاح السوفيتي في نظر أبي السعيد، دوراً مهماً في المعارك التي خاضها العرب ضد إسرائيل، وبأثمنة تقل بكثير عن سعر السلاح الأمريكي، الذي لم يكن في متناول العرب. لأن أمريكا اشترطت على العرب الأداء المسبق بالدولار، ومنحته لإسرائيل بقروض سرعان ما تتحول إلى هبة مع الوقت، مع الفارق التقني المهم بين ما يسلم للعرب وما يسلم لإسرائيل. في الوقت الذي كان الاتحاد السوفيتي يبيع السلاح لمصر وسوريا بنصف السعر وعلى أقساط طويلة المدى، وبفوائد رمزية وتقبل السداد من الإنتاج المحلي عن طريق المفاضلة. ويكفي الإشارة إلى أن الاتحاد السوفيتي، لم يتقاضى حتى أكتوبر ١٩٧٣ ثمن ما قدمه من سلاح لمصر منذ 1956 وأن كل ما تقاضاه هو ثمن الغيار فقط<sup>20</sup>.

ويرى أبو السعيد أن خسارة العرب للدور الحيوي للاتحاد السوفيتي في الصراع العربي الصهيوني نجم عن طرد السادات للخبراء السوفيات من مصر<sup>21</sup> كما اعتبر أيضاً أن الخاسر الوحيد والكبير من سياسة السادات خارج العربي، هو الاتحاد السوفيتي الذي شعر قاداته بالإهانة، جراء طرد الخبراء بتلك الطريقة. لكن رغم ذلك ظل موقف الاتحاد السوفيتي أن عودة مصر للصف العربي بعد اتفاقية كامب ديفيد، ضروري للتوازن الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني، مع إدراكه أن هذه العودة لابد أن تتم بالتدريج وبمساعدة العرب والاتحاد السوفيتي لها<sup>22</sup>.

إن أبا السعيد وهو يقوم بتحليل النظام الدولي، وتأثيره على الوضع العربي وعلى مسار الصراع مع العدو الصهيوني، كان واعياً بأن التفاعل مع هذه القوى، يجب أن يتم على قاعدة المصالح المشتركة وليس على القاعدة الإيديولوجية.

17. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 72.

18. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 73.

19. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 74.

20. عبقرية الفشل، نفس المرجع، ص 75.

21 - خالد الحسن، الانتفاضة.. والثورة الشعبية لماذا؟ وكيف؟ وإلى أين؟ بدون ناشر وبدون رقم الطبعة ص 56.

22 - خالد الحسن، عبقرية الفشل، مرجع سابق، ص 62.

لهذا رأى بأن المصلحة العربية هي أقرب في التحالف مع الاتحاد السوفيتي نظرا للالتقاء الموضوعي حول العداء للمعسكر الرأسمالي الحليف الاستراتيجي للكيان الصهيوني . كما أنه تطلع أيضاً للتنسيق مع الصين، كقوة صاعدة يمكن التعويل عليها لخلق التوازن<sup>23</sup>.

فإذا كانت هذه نظرة الراحل خالد الحسن للوضع الدولي إبان فترة التنافس الأمريكي السوفيتي، فإن انهيار العملاق السوفيتي كان بمثابة الانفجار القوي، الذي انقشع غباره على الانفراد الأمريكي بالقرار الدولي، وبداية مرحلة جديدة من العزلة، مازال العالم يتجرع مرارتها إلى اليوم. ولا شك بأنه نظر إلى خروج الاتحاد السوفيتي من المشهد بنوع من الحسرة تعادل حجم الخسارة التي مني بها العرب جراء هذا الانهيار.

### ثالثاً: استراتيجية التكامل العربي في مواجهة الصهيونية وحلفائها.

لقد كان أبو السعيد واعياً بحجم الأعباء التي يضعها الصراع العربي مع الكيان الصهيوني على كاهل العرب أجمعين، فقد عرف قوة عدوه وقوة داعمي هذا العدو، وقدر حالة الضعف التي تمر منها الأمة العربية، جراء موجات الاستعمار والتبعية والتقسيم. رغم أن واقعيته هذه لم تدفعه للتسليم بالهزيمة بشكل نهائي. فالنصر والهزيمة عنده أمور نسبية لا تصل إلى المطلق.<sup>24</sup> كما أن الهزيمة والنصر بالنسبة له، مرتبطان بالوضع الداخلي أكثر من ارتباطهما بأي شيء آخر. فقبل التعويل على الغير في إدارة أي صراع يجب ترتيب البيت الداخلي وإدراك عناصر القوة المتصلة بالصراع السياسي ثم تحويل تلك العناصر من حالة الجمود إلى إمكانيات قادرة على التأثير في الصراع.

لقد كان يعتبر الكيان الصهيوني خطراً قومياً، لا يزول إلا بزوال الصهيونية أو سيطرتها بشكل مطلق على الأمة العربية ومقدراته<sup>25</sup>، لهذا فإن مواجهة هذا الخطر، لا تكون إلا باستجماع القوى الظاهرة والكامنة في هذه الأمة، لتحقيق تكتل قومي قادر على مواجهة التحديات التي يرفعها هذا الكيان المدعوم أمريكياً وغريباً. إن لم يكن من أجل الانتصار فعلى الأقل من أجل الصمود. لأن الانتصار الكامل في ظل الوضع الدولي القائم بالنسبة له أمر ممتنع لكن بذل الجهد كاملاً يكفي للاطمئنان إلى فعالية مواجهة التحديات<sup>26</sup>.

فيا ترى ماهي أهم ملامح الاستراتيجية المتاحة عربياً لمواجهة الصهيونية وحلفائها؟

١- **التوجه الوحدوي التكاملي:** إن وعي الراحل خالد الحسن بخطور الصهيونية على الأمة العربية أرضاً وشعباً وتاريخاً وحضارة، ووعيه كذلك بأن العدو الذي واجهه العرب غير محصور حتماً في الكيان الصهيوني، جعله يوقن بأن المواجهة مع هذا الكيان ومع من يدعمه يجب أن تخاض بأدوات قومية لا إقليمية، وأن الأداة الإقليمية حتى ولو كانت لها إرادة قومية لا يمكنها أن تلعب دوراً حاسماً مع عدو قومي.<sup>27</sup> لكنه كان يدرك جيداً صعوبة إنجاز الوحدة المنشودة دفعة واحدة. لهذا اقترح رحمه الله انتهاج سياسة تكاملية بين العرب، تقودها مؤسسة القمة العربية كهيكلية

23 - عبقرية الفشل، مرجع سابق، ص 77.

24 - خالد الحسن، عبقرية الفشل، مرجع سابق، ص 35.

25 - خالد الحسن، عبقرية الفشل، مرجع سابق، ص 55.

26. خالد الحسن، عبقرية الفشل، نفس المرجع خالد الحسن، عبقرية الفشل، مرجع سابق، ص 55، ص 8.

27. خالد الحسن، إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، مرجع سابق، ص 33.



قائمة تمتلك صلاحيات قيادة الأمة العربية، وتتحول إلى قيادة فاعلة تعمل على تحقيق التكامل السياسي والاقتصادي والعسكري العربي، لكن مع المحافظة مرحليا على المصالح الذاتية للأنظمة الرسمية العربية.<sup>28</sup>

فقيام مثل هذا التكتل في نظره مهم ليس من أجل المواجهة فقط، بل هو ضرورة حتمية للمحافظة على الهوية العربية، وعلى الذات الحضارية العربية، وهي ضرورة للحيلولة دون تحول العرب إلى كم بدون هوية ولا وزن، وحتى لا تتقاذهم قوى العالم وحتى لا يكونوا أداة بيد غيرهم.<sup>29</sup>

ومن ثم فقد رأى في الخلافات العربية العربية خروجاً على هذا الطريق، واستنزافاً اقتصادياً وسياسياً يخدم المخطط الأمريكي الصهيوني في المنطقة.<sup>30</sup> كما أن خوض حروب جانبية مثل الحرب العراقية الإيرانية، يؤدي بجزء من الأمة العربية إلى الخروج من حلبة الصراع مع الصهاينة.<sup>31</sup>

٢- توظيف الإمكانيات العربية في الحدود القصوى وتحويلها إلى قدراتها: إن الأمة العربية عند أبي السعيد، هي مجموع إمكانياتها عندما تتحول إلى قدرات قابلة للاستخدام في الصراع الدولي إذا توفرت الإرادة لذلك.<sup>32</sup> فالموقع الجغرافي والإمكانات المالية والبشرية والسلاح، إذا تم إسنادها بالقيم المرجعية للأمة وبالإرادة القومية الكاملة، بعيدا عن منطق الأنانية والاستبداد، يمكن أن تشكل عوامل حاسمة في التصدي للعدوان الصهيوني.<sup>33</sup>

لكن أبا السعيد حذر من العقلية التي ترفع شعارات وأهداف لا قبل بتنفيذها.<sup>34</sup> وبالمقابل دعا إلى الاستثمار الجيد لأدوات الصراع التي تمتلكها الدول، من سوق شرائية، ونفط، وموقع ومواد خام، وفائض مالي، من طرف هذه الدول على قاعدة التضامن العربي الخادم للتكامل القومي،<sup>35</sup> والمنهي لحال التبعية الناتج عن التقصير في تحويل الإمكانيات المتاحة وتطويرها. هذا الأمر ينطبق على كل المجالات الاقتصادية الزراعية والصناعية وغيرها، بما يجعل الأمة مستغنية عن غيرها مكثفة بذاتها،<sup>36</sup> لكن توظيف كل هذا لا يمكن أن يتم بشكل مجد إلا بتخطيط تكاملي، يشمل المجالات الأساس المتمثلة في: التخطيط المالي المركزي، الذي يشمل بنكاً مركزياً اتحادياً مع عملة موحدة، مع تخطيط زراعي يضمن سلة غذائية لكل العرب. هذا دون إغفال دور القوة العسكرية التي تجمع بين العامل البشري و السلاح الفعال. حيث يرى أبو السعيد أن استراتيجية التكامل يجب أن تضم أيضاً تكتلاً عربياً لتصنيع السلاح بما فيه السلاح النووي إذا تطلب الأمر.

٣- الدخول في معارك استنزاف طويلة لانهاك العدو وحلفائه: يعتقد الراحل خالد الحسن أن الكيان الصهيوني مشروع استعماري مصطنع لا يملك مقومات البقاء الذاتية، كما أنه يحمل في أحشائه تناقضات حادة عرقية وثقافية

28. خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، مرجع سابق، ص 56/57.

29. خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، نفس المرجع، ص 53.

30. خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، مرجع سابق ص 55.

31. *عبقريّة الفشل*، نفس المرجع، ص 15.

32. *عبقريّة الفشل*، نفس المرجع، ص 14.

33. خالد الحسن، *إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية*، مرجع سابق ص 33.

34 - خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، ص 78.

35 - خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، نفس المرجع ص 91.

36 - خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، ص 50.

وسياسية، لو تم استغلالها عربياً لكانت النتيجة تقصير العمر الوجودي القوي لهذا الكيان، الذي يكتسب قوته في نظره من قوة أمريكا في المسرح الدولي. وإذا أصبح عبئاً على المصالح الأمريكية تراجع التأيد بتراجع تلك المصالح<sup>37</sup>، لهذا فعلى العرب أن يتعاملوا مع أمريكا والغرب بلغة المصالح التي يعرفونها<sup>38</sup>. لأن فصل الممارسة الاقتصادية عن الممارسة في العلاقات الدولية، يعني التفريط الكامل بالمصالح السياسية والاقتصادية معا<sup>39</sup>. لذا فاللجوء في نظره مثلاً إلى الأسلحة الاقتصادية، يؤدي إلى الضرب التدريجي لمصالح الدول المعادية<sup>40</sup>. كاستخدام سلاح النفط بتخفيض الإنتاج دون قطعه بشكل نهائي، لأن ذلك يجعل العرب في مواجهة مباشرة مع القوى الرأسمالية. لكن التخفيض التدريجي مع تحويل المشاريع الإنشائية في هذا القطاع من بلد لآخر، يضر باقتصاديات تلك الدول، ويخلق رأياً داخلياً ناقداً لتلك السياسات يدفع الخصوم للتفاوض على مصالحهم مع العرب<sup>41</sup>.

هذا كله ويرى أبو السعيد أن النضال المسلح أو الاشتباك العنيف يجب أن يستمر مع العدو الصهيوني لاستنزافه سياسياً واقتصادياً وتنموياً<sup>42</sup>، عبر تبني الخيار العسكري ذي المرحلة الواحدة أو المراحل المتوالية<sup>43</sup>. لأن حالة السلم الكامل لا تخدم سوى إسرائيل لمراكمة القوة وكسب الوقت، للاستعداد للحروب القادمة.

## خاتمة

إن الصراع العربي الإسرائيلي رغم امتداده لهذه المدة من الزمن، مازالت الحاجة ماسة لدراسة كل أبعاده الفكرية والاستراتيجية والسياسية وغيرها. وإن التركيز على الراحل خالد الحسن في هذا المقال، من شأنه أن يحيي النقاش حول طبيعة هذا الصراع والمعنيين به كذلك. في وقت تزداد فيه حدة التوجهات الإقليمية عربياً. وفي وقت يترك فيه الفلسطينيون ليواجهوا قدرهم بعيداً عن أي دور عربي فاعل، اللهم بعض الوساطات التي تدعوهم لمزيد من الاستسلام والتفريط في الحقوق القومية والوطنية.

وإن طرح الأبعاد الاستراتيجية والدولية لهذا الصراع من خلال تراث أبي السعيد، يجعلنا نقارن بين وعي القيادات العربية التاريخية، وبين وعي القيادات الحالية، في استحضار كل هذه الأبعاد. كما تمثل هذه المقالة فرصة أخرى للتساؤل حول ماهية إسرائيل؟ أهى حقاً دولة وظيفية؟ وإذا كانت كذلك كيف تنتقل هذه الوظيفة من دولة إلى أخرى؟ وإذا ثبت هذا الانتقال كيف تُنهي هذه الوظيفة؟ هل يتم ذلك عبر قرارات سياسية أم بواسطة معاهدات دولية؟ وفي المقابل ما الذي يعنيه تحريك هذا الكيان لمجموعات ضاغطة، تابعة له داخل المجتمعات والدول الغربية، من أجل المساندة والدعم المالي والسياسي؟ ألا يحق لنا القول بأن بعض الدول الغربية، ومنها أمريكا تتحول أحياناً إلى أداة في يد قادة الكيان الصهيوني؟ ألا يدل التأثير المتبادل بين الكيان الغاصب، وبين الدول الغربية، وعلى رأسها

37 - خالد الحسن، *فلسطينيات*، سلسلة دراسات صامد الاقتصادية 35، منشورات دار الكرمل-صامد، بدون رقم طبعة، ص 18.

38 - خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، مرجع سابق ص 19.

39 - خالد الحسن، *إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية*، مرجع سابق، ص 22.

40 - خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، ص 102.

41 - خالد الحسن، *عبقريّة الفشل*، مرجع سابق، ص 101/102.

42 - خالد الحسن، *فلسطينيات*، مرجع سابق، ص 20.

43 - خالد الحسن، *فلسطينيات*، مرجع سابق ص 24.

أمريكا، على أن إسرائيل هي جزء من المنظومة الاستعمارية الغربية وليست فقط أداة تستخدم لتأمين مصالح تلك القوى!

## المراجع

- خالد الحسن أبو السعيد، *إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية*، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي، أوراق سياسية 6، ط 1، عمان 1986.
- خالد الحسن أبو السعيد، مقابلة مع شؤون فلسطين دون ذكر العدد أعيد نشرها في كتاب فلسطين وأروبا ديبلوماسية المواجهة، دار الكلمة للنشر 1981.
- خالد الحسن، أبو السعيد، *الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك*، أوراق سياسية 13، بدون ذكر للطبعة أو الناشر.
- عبد الوهاب المسيري، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، الموسوعة الموزعة في جزأين، دار الشروق ط الثالثة 2006 المجلد الثاني.
- خالد الحسن، *عقريّة الفشل*، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر، ط الأولى 1986.
- خالد الحسن، *الانتفاضة.. والثورة الشعبية لماذا؟ وكيف؟ وإلى أين؟* بدون ناشر وبدون رقم الطبعة.
- خالد الحسن، *فلسطينيات*، سلسلة دراسات صامد الاقتصادية 38، منشورات دار الكرمل - صامد، بدون رقم طبعة.